رد على رد

وأد البنات عند العرب فى الجاهلية

للدكتور على عبد الواحد وافى

عقّب الأستاذ عبد المتعال الصعيدى على مقال لى فى وأد البنات عند العرب فى الجاهلية[1] بكلمة[2] ترجع خلاصتها إلى النقط الآتية :

١ — يسألنى من أين أتيت بالرأى الذى ذكرته فى هذا المقال بصدد عقائد القبائل التى كانت تئد بناتها ، والعوامل التى كانت تحملها على ذلك

٢ — يرى أن العرب فى الجاهلية كانت تعتقد أن الله خالق كل شىء ، بدليل قوله تعالى : « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم » . فكيف يصح مع هذا ما ذكرته من أنهم كانوا ينسبون خلق الذكور لآلهتهم وخلق الإناث لله

٣ — يرى أن ليس المراد بالبنات فى الآيات التى استشهدت بها الإناث من بنى الإنسان ، وإنما المراد بهن الملائكة

٤ — يرى أن آية النحل التى ذكرتها : « ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون » ، لا تدل على أنهم كانوا ينسبون الذكور لآلهتهم ، وإنما تدل على أنهم كانوا ينسبونهم لأنفسهم

٥ — يرى أن وأد البنات لم يكن للسبب الذى ذكرته ، بل كان بعضه للفقر ، وبعضه لخوف الفقر ، وبعضه لخوف السبي والعار ، وأن لا مانع من أن يكون بعضه تنفيذاً لنذور كانوا ينذرونها . فقد كان الرجل يحلف فى الجاهلية لئن ولد له كذا غلاماً لينحرن أحدهم كما فعل عبد المطلب

وردى على هذه المسائل يتلخص كذلك فى النقط الخمس الآتية :

١ — لم آت بالرأى الذى ذكرته من كتاب ، ولم أنقله عن أحد ، بل هى نظرية لى استنبطتها استنباطاً من آيات الذكر الحكيم ؛ وصرحت فى مقالى أنه لم يسبقنى بها أحد . فلا محل إذن لمطالبتى بالمرجع الذى رجعت إليه بصددها

٢ — لم يكن العرب فى الجاهلية على دين واحد ، بل كانوا فرقاً كثيرة يختلف بعضها عن بعض اختلافاً كبيراً فى العقائد والعبادات ، فكان منهم من يعبد الله على ملة إبراهيم ، وكان من هؤلاء الرسول عليه الصلاة والسلام قبل بعثته وكثير من السابقين الأولين إلى الإسلام ، وكان منهم اليهود ، وهؤلاء كانوا ينتمون إلى عدة قبائل يسكن معظمها المدينة ونواحيها وشمال الحجاز (بنو قريظة ، بنو النضير ... الخ) وكان منهم المسيحيون ، وهؤلاء كانوا فرقاً كثيرة تنتمى إلى مختلف مذاهب المسيحية المنتشرة فى ذلك العصر ، وكان منهم عبدة الكواكب ، فكنانة كانت تدين للقمر والدبران ، وبنو لخم وجرم كانوا يسجدون للشعرى ، وبنو طيء ألهوا سهيلا ، وبنو قيس بن عيلان توجهوا للشعرى اليمانية (وهم الذين قد سفه الله عقائدهم إذ يقول عز وجل : « وأنه هو رب الشعرى ») ... وهلم جراً ، وكان منهم الدهريون الذين لا يؤمنون بإله وينسبون كل شىء للطبيعة : (إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر) وكان منهم الوثنيون عباد الأصنام ، وهؤلاء كانوا فرقاً كثيرة تختلف كل فرقة منها عن غيرها اختلافاً كبيراً فى نوع الأوثان ، ونظرتها إليها ، ومبلغ تقديسها لها ، وعقيدتها فى الله تعالى . ففريق من هؤلاء كان يعتقد بوجود الله وينسب إليه الخلق والأمر ، وما كان يعبد الأصنام إلا لتشفع له عند الله وتقربه إليه . وفى هذا الفريق جاءت الآية التى أوردها الأستاذ وآيات أخرى كثيرة (ألا لله الدين الخالص ، والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) ؛ (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ... الخ) . وفريق من الوثنيين كان ينسب الخير لأصنامه والشر لله تعالى . فكان الله فى نظرهم إله الشر أو ما يشبه الشيطان فى نظرنا ، « تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً » . ولذلك كانوا ينسبون إليه ما يكرهون . وفى هؤلاء يقول الله تعالى : « ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى » (النحل ٦٢) . والقبائل التى كانت تئد بناتها كانت من هذا الفريق ، لأن الآية السابقة جاءت فى سياق الحديث عمن كانوا يئدون البنات . وغنى عن البيان أن من ينسب لله ما يكرهه والدنىء من الأشياء لا يمكن أن يكون ممن يعتقدون أنه تعالى خالق كل شىء . فالآية التى أوردها الأستاذ عبد المتعال والآيات الأخرى التى من نوعها تتحدث عن فريق من العرب غير الفريق الذى نحن بصدد الكلام عنه

(١) العدد الممتاز من الرسالة (٣ مارس سنه ١٩٤١)
(٢) عدد (٣١ مارس سنة ١٩٤١)

٣ — تفسير البنات بالملائكة لا يستقيم فى معظم الآيات التى أوردتها فى مقالى السابق . ففى قوله تعالى : « أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين ؟ » ؛ وقوله : « أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، ألكم الذكر وله الأنثى ، تلك إذن قسمة ضيزى » ؛ وقوله : « فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون » . فى هذه الآيات وما إليها لا يستقيم فى نظرى تفسير البنات بالملائكة، لأن الملائكة لا تقابل الذكور من بنى آدم . فلا يصح أن يقال فيمن يقتصر على نسبة الملائكة لله معتقداً أنهم إناث : إنه يختص نفسه بالبنين من الآدميين دون بناتهم، كما تصرح هذه الآيات[1]، وإنما يقال فيه إنه ينسب لنفسه النوعين من الآدميين — أى الذكور والإناث — وينسب لله الملائكة ويجعلهم من نوع الإناث لا غير

على أن كثيراً من الآيات التى ذكرتها فى المقال السابق ، قد جعلت وأدهم للبنات مترتباً على عقيدتهم هذه « ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ، وإذا بشر أحدهم بالأنثى الخ » ولا يستقيم هذا إلا إذا كان الغرض من البنات الإناث من بنى آدم لا الملائكة

حقاً إنهم كانوا يعتقدون أن الملائكة إناث وأنهم كانوا ينسبونهم لله ويعتقدون أنهم أولاده ، كما يصرح بذلك كثير من الآيات ؛ ولكن هذا لا يتعارض مع ما ذهبنا إليه من أنهم كانوا ينسبون البنات من بنى آدم لله تعالى ، بل يزيده تأييداً كما أشرت إلى ذلك فى مقالى السابق . وذلك أن القسمة الضيزى التى أجروها فى عالم الأرض ونسبوا فيها لله تعالى الإناث ولآلهتهم الذكور، قد أجروا مثلها فى عالم السماء، فكانوا ينسبون لله تعالى من هذا العالم كل ما يعتقدون أنه من نوع الإناث . ومن أجل ذلك نسبوا إليه الملائكة لاعتقادهم أنهم من هذا النوع . ولذلك جاءت عقيدتهم بصدد الملائكة فى معظم الآيات التى أوردناها فى المقال السابق مصاحبة لعقيدتهم بصدد الأولاد من الآدميين . وذلك يدل على أنهما عقيدتان مرتبطة كلتاهما بالأخرى ومترتبة عليها : « فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون ؟ أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون ؟ » « أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، ألكم الذكر وله الأنثى ؟ تلك إذن قسمة ضيزى . . . إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى » .

فالقرآن فى هذه الآيات يحدثنا عن حقيقتين لا عن حقيقة واحدة : إحداهما ما يعتقدونه بصدد الذكور والإناث من الآدميين ؛ وثانيتهما ما يعتقدونه بصدد الملائكة

٤ — وأما نسبة الذكور لآلهتهم أو لأنفسهم فهذا لا يهم كثيراً فى موضوعنا ، ولا يؤثر شيئاً فى النظرية التى أوردتها ؛ لأن المهم أنهم كانوا ينسبون الإناث لله وأنهم لذلك كانوا يئدونهن ؛ وسواء لدينا بعد ذلك أن كانوا ينسبون الذكور لأنفسهم أو لآلهتهم . على أن ما ذكرناه فى المقال السابق بصدد الذكور تحتمله آية النحل ، وخاصة لأن الضمير فى الآية التى قبلها يرجع إلى الشركاء : « ويجعلون لما لا يعلمون (أى لآلهتهم التى لا علم لها لأنها جماد . اهـ البيضاوى) نصيباً مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون ، ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون » . فرجع الضمير فى لهم إلى الشركاء المذكورين فى الآية السابقة ليس محتملاً فحسب ، بل أرجح كثيراً فى نظرى من رجعه إلى المشركين . لأن موضوع الحديث هو تقسيمهم المخلوقات بين الله وشركائهم لا بين الله وأنفسهم . ويزداد هذا المعنى تأييداً إذا ربطت هذه الآيات بآيات الأنعام : « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً ، فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا ... » . « وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ... »

ويزداد هذا المعنى تأييداً كذلك إذا لاحظنا أنهم ما كانوا ينسبون خلق شىء لأنفسهم ، بل كان ذلك يتردد بين الله وآلهتهم

٥ — لا يمكن أن يكون سبب الوأد هو الفقر أو خوف الفقر ؛ لأن هذا النظام لم يكن معمولاً به فى الطبقات الفقيرة وحدها ، بل كان عاماً عند الفقراء والأغنياء فى العشائر التى أخذت به ، ولو كان الفقر هو الدافع إليه لحق جميع الأولاد بدون تمييز بين الذكور والإناث . ولا يمكن أن يكون سببه خوف العار والسبى للأسباب التى ذكرتها بتفصيل فى مقالى السابق . ولا يمكن أن يكون سببه نذوراً من نوع نذور عبد المطلب بن هاشم لأننا بصدد قبائل كانت تئد كل بنت تولد لها لا بصدد حالات فردية كانت تنحر فيها بعض البنات وفاء لنذور سابقة .

على عبد الواحد وافى

(١) تراكيب هذه الآيات تفيد القصر كما لا يخفى على الأستاذ عبد المتعال « ألربك البنات ولهم البنون ؟ » ، « ألكم الذكر وله الأنثى » ... الخ

حكم استئنافياً بتغريم حنفى إبرهيم الطويجى التاجر بالخليفة بالقضية ٢٦٦٩ ف بجلسة ٢٦ مارس سنة ٤١ جنيهان لبيعه بترولا بأزيد من التسعيرة